لقد من الله على المؤمنين . . .

للاستاذ

على حسب الله

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم حمد الشاكرين ، ونصلى ونسلم على سيدنا محمد إمام المتقين ، وسيد المصلحين ، وخاتم النبيين ، قال الله تعالى : لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ،

فمن حق هذا الرسول الامين على المسلمين ؛ أن يحتفلوا بذكرى مولده الكريم ، لما له من الآثار الخالدة فى الاولين والآخرين .

وإنما يحتفل الناس بعظمائهم ليلتمسوا فى سيرهم من معانى العظمه وأسباب الفلاح ما يضىء لهم طريق الحياة ، ويحفز هممهم إلى المعالى ، ويعينهم على بلوغ الغايات الشريفة .

ورسول الله ﷺ خير من يقتدى به فى جميع نواحى الحياة . فقد خلقه الله مثلا كاملا للانسان ، فصنعه كاملا فى خلقه وخلقه ، وفى شيابه وهرمه ، وفى معاملته لربه ، ومعاملته لاصحابه وأعدائه ، كاملا فى سره وجهره ، كاملا فى كل معانى الانسانية .

اختاره الله تعالى من أعز قبائل العرب جانبا ، وأعرقها نسبا ، وأكرمها حسبا ، ولكنه جعله مع هذا يتيما فقيرا ، فهداه بالاولى سبيل الزعامة والقيادة ، وبالثانية سبيل الاعتماد على النفس ، والنضال فى الحياة ، مع لين الجانب ، والعطف على الضعفاء ، والاكتفاء من الدنيا بالقليل .

ثم نشأ ﷺ بين قوم يعبدون الاصنام ، ويقطعون الارحام ، فكان عجبا أن جمع من الفضائل مالم يتهيأ لبشر ، وسمت أخلاقه إلى أقصى ما تسمح به الطاقه البشرية ، فكانت صافية نقيه ، صريحة واضحة ، لايعكرها رياء ، ولا يحجبها طلاء فلا تراه إلا على حالة واحدة من الرضا والاطمئنان ، فى السر والعلانية ، والشدة والرخاء :لاتبطره السراء ، ولا يوهن عزيمته البلاء .

وهكذا يسمو هذا الفتى الكريم ، الفقير اليتيم ، بما اعتاد من الجد فى عمله ، والاستقامة فى قصده ، حتى يسميه القوم « الامين » ،ويرتضون حكمه عند وضع الحجر الاسود ، فيقدمونه بذلك على رؤسائهم أجمعين .

ثم يصطفيه الله تعالى لرسالته ، فيقوم بأمر هذه الدعوة الخطيرة وحده ، فى تلك البيئة الفاسدة الجامدة ، ويتحمل فى سبيلها من عنت القوم وسخريتهم كل ما شاء لهم السفه ، وحفزهم إليه الجهل ؛ حتى يبلغ رسالة ربه ، ويؤدى ما اؤتمن عليه ويذهب إلى ربه راضيا مرضيا .

فهل تجد فى تاريخ الابطال والمصلحين مثل رسول الله ﷺ ظافرا منصورا : يصل من قطعه ، ويعطى من حرمه ، ويعفو عمن ظلمه ، ويدخل مكة فاتحا مظفرا وأعداؤه على العجز والهوان ، فيطأطىء رأسه خشيةأن يعتريه -وحاشاه- مايعترى الناس فى مثل موقفه من الغرور والخيلاء ، ثم لا يكون منه لهؤلاء الذين أسرفوا فى إيذائه وصد الناس عنه إلا أن يقول لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء ؟

وهل تجد فى تاريخ الابطال فاتحا مطاعا واسع السلطان يحيا فقيرا زاهدا راضيا بالكفاف شاكرا لله ، ثم يموت فلا يوصى لاحد من قرابته بشىء ، بل يحرمهم ميراثه اليسير فيقول : نحن معاشر الانبياء لانورث ؟

لقد كانت ولادته ﷺ يمنا وبركة على العرب ، فقد أصلح قلوبهم بالعقائد الصحيحة ، وهذب نفوسهم بالاخلاق الفاضلة ، وألف من أشلائهم المتناثرة التى ماكانت تصلح لشىء ،أمة مثاليه صالحة لكل شىء ، هى خير أمة أخرجت للناس : يرتبط أبناؤها برباط الاخوة والمحبة ، وينشرون العدل والسلام فى أرجاء المعمورة ، ويقودون إلى المدنية الصحيحة أمما ذوات مدنيات بعيده ، وحضارات قديمة .

وكانت ولادته ﷺ يمنا وبركة فى العالم الانسانى، فانه لم يأت ليرفع جنس العرب على غيرهم، ويجعل منهم سادة الشعوب، كما تزعم لنفسها بعض الأمم، وإنما جاء لرفع شأن بنى الانسان وتوجيههم إلى الانتفاع بعقولهم، وإشعارهم بأن مافى السموات ومافى الارض لم يخلق الا لاجلهم فقال تعالى: « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »

وقال تعالى: « هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا »،

وقال تعالى « الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون. وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ».

ثم قرر مبدأ المساواة بين الناس أجمعين، فلا امتياز لعربى على عجمى؛ ولا لغنى على فقير، ولا لابيض على أسود، ولا لمسلم على غيره ممن يحتمى بالدولة، ويستظل برعايتها؛ فقال تعالى: « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ».

وقال ﷺ: « أيها الناس، كلكم لآدم، وآدم من تراب، اكرمكم عند الله اتقاكم، لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ».

وقال تعالى: « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين »،

وقال تعالى: « ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا »، « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى »

فالاحكام انما تنفذ فى البلاد الاسلامية على جميع الناس: من غير تمييز بين شريف ووضيع، أو غنى وفقير، أو مسلم وغيره: سرقت امرأة من بنى مخزوم حليا، ورفع أمرها إلى رسول الله ﷺ، فاهتم لها القرشيون وقالوا: من يجترىء على رسول الله أن يكلمه فيها إلا أسامة حب رسول الله، فكلمه أسامة، فقال له الرسول ﷺ: أتشفع فى حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: « أيها الناس، إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم

الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايم الله لو أن فاطمه بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها »

هذه إشارة خاطفة إلى فضائل الاسلام العالية ، وأصوله القويمة : أخذها المسلمون الأولون بقوة ، وحرصوا عليها ، فارتفعوا وعزوا ، وتلقيناها بفتور ، فتمكن منا الضعف ، واعترانا الهوان ، واستولى علينا من لا يرعى للفضيلة حرمة ، ولا للانسانية ذماما .

ولقد آن للمسلمين — بعد هذا السبات الطويل — أن يستردوا حقوقهم المغصوبة ، ويتبوءوا مكانهم فى العالم ، ويبلغوا رسالتهم إلى الامم ، ويتحملوا نصيبهم فى بناء مدنية روحية فاضله ، تخلف هذه المدنية المادية الفاسدة ، وأن يجاهدوا فى سبيل حياة عزيزة كريمة يستمتعون فيها بثمرات جهودهم ، وليعلموا أن سلفهم من المسلمين الأولين قد فهموا دينهم كما ينبغى أن يفهم ، وعرفوا أنه للدنيا والآخرة ، وللفرد والجماعة ، وبهذا أصلحوا من نفوسهم ، وجاهدوا لحفظ دينهم وإعزاز دولتهم . وانما يصلح آخر هذه الأمة بما صلح به أولها : من الاعتصام بكتاب الله ، والاهتداء بهدى رسول الله ، والتعاون على ما يرفع من شأن الامم الاسلامية ، ويجعل لها العزة والسيادة : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

أما أنتم يا أبناء دار العلوم — فيوكل إليكم وضع الأساس الروحى للجيل الجديد ، فعليكم فى الحياة واجب عظيم ، ومهم خطير : أن تروضوا أنفسكم أولا على حب الحق والخير والفضيلة ، ثم تضعوا الاساس قويا متينا ، صالحا لحمل مافى المستقبل القريب من تبعات : فغذوا النشء بقوة الايمان ، والثقة بالنفس ، والاعتزاز بالكرامة ، والحرص على أداء الواجب ، واضربوا لهم الامثال من سيرة النبى الكريم ، والسلف الصالح ، ثم بحسن سيرتكم فيهم ، ومعاملتكم لهم . هذه هى رسالتكم فى الحياة ، وهذا هو جهادكم : به تطالبون ، وعليه تؤجرون : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

« يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم »